يمين العلي

رواية تاريخية للاب س. ت البسوعي

الفصل الرابع عشر

ان الله يحيي ويميت (تابع)

وبقي راسيوس صُلب نهارهِ يتقلَّب على احرَّ من الجمر فكان يهيمُ في وجههِ دائرًا في انحاء البلدة كالشارد العقل. ولكنَّهُ لا يلبث ان يعود الى الملعب ليرى ما يجري فيهِ من تهيئة الالعاب فكان هناك احد الشيوخ لم يعرفهُ راسيوس وتحت امرهِ خمسمائة من العبيد يُعدّون لوازم العيد الذي كان موعدهُ في غدٍ. وكان الشعب يتقاطر الى نظر هذه الاعدادات فيفرح سلفاً لما سيجري فيها من المذابح الدمويَّة. وكان يزيد فرحهم لمَّا يسمعون هَمْهَمَة الوحوش المضوَّرة وزئير السباع في اقفاصها وهي لم تكد تصبر على جوعها الطويل. وكانوا يزيدونها شراسةً بان يقدّموا لها عن بعد قطعاً من اللحم فتهجم لتلتقطها وصوت هديرها يرعد الفرائص

وكان القوم يتراهنون على ايّ هذه الضواري يسبق رفقتهُ في التهامهِ صيدهُ وتقطيعهِ في غدٍ لحمان الاسرى فهذا يجعل قصبة السبق لاسود لبنان وذاك لنمورة جبل الشيخ وغيرهُ للكلاب السلوقيَّة المضرَّاة. وكان فتًى صغير يسأل والدهُ ايّ اثمٌ اجترحهُ الذين يُعرضون هكذا للسباع وهل يُعطى لهم اسلحة ليدافعوا عن نفوسهم. وكان غلامٌ آخر يطلب من ابيهِ ان لا يحرمهُ مشاهدة مذبحة اليهود الذين قتلوا اخاهُ الكبير في الحرب ليشتفي بنظره الى دمائهم

امَّا راسيوس فكان يسمع كل هذه الاحاديث دون ان يعرف احد بامره لتنكّره بلبس رداء العبيد. وكان ما يطرق اذانهُ وتشاهدهُ عيونهُ يجرح قلبهُ ويستفزُّ كلّ عواطفهِ حتى اضطُرَّ الى ان يبتعد عن ذلك المكان. الَّا انَّ نظرهُ لم يزل شاخصاً الى حيث عاهد السُّعاة بلقياهُ

فبقي كذلك لا يذوق راحةً الى قرب غروب الشمس. فجاء الليل بظلماتهِ دون ان تلوح لهُ بارقةٌ من الامل. فاقترب ثانيةً من سجن الاسرى وفي فكره انهُ اذا فُتح لهُ

كالرَّة الاولى وثب على اليهودي الحارس قتلهُ بمدية كانت تحت ثيابهِ ثم دخل الى صموئيل فاخرجهُ سالماً. بيد انَّ هذه المرَّة بقي الباب مقفلًا مع طرقهِ لهُ طرقات عديدة. فاستولى عليهِ القنوط وكاد يخرجهُ عن رشده ويسقطهُ على الحضيض فانسحب من ثمَّ يتمايل كالسكران حتى بلغ الى قطعة العمود التي جلس عليها الليلة السابقة فاستند اليها وتثاقلت اجفانهُ فنُلي بسُبات عميق بينما كان يضنكهُ الجثام

فرأى نفسهُ كانهُ على درجات الملعب واذا بالضواري وثبت على الاسرى وبينهم صموئيل الشيخ وكلُّهم عُزل من السلاح لا نصير لهم. فلمَّا رأى ابا يهوديت هم بان يَفدِيَهُ بنفسهِ ويتوسَّط بينهُ وبين الوحش المتسلّط عليهِ الَّا انهُ احسَّ بقواهُ قد انحلَّت وكانَّ يدًا غير منظورة غلَّلتهُ وجمَّدت كلَّ حركاتهِ. ولم يبقَ لهُ الَّا ان صرخ صرخةً عظيمة: « يا يسوع خلّص والدها » فما كاد هذا القول يخرج من حلقهِ حتى رأى الشيخ مجلَّلًا بالنور متصاعدًا الى العُلى وهو يترنَّم بنشيد الفرح

*

فلمَّا انتبه راسيوس من نومهِ واذا بالنهار قد طلع وهو يومهُ الاخير. ففرك عينيهِ ليرى أهو في يقظة ام في منام. الَّا ان حركة القوم حولهُ نبَّهت افكارهُ وذكَّرتهُ بحقيقة الحال وبامر يهوديت. وكان يجول في فكره ما رآهُ في نومهِ وكانَّ هذا الحلم ارجع اليهِ شيئًا من املهِ المفقود

فمن وقتهِ سار الى المعسكر حيث مقام طيطس ليستعلم عن رجوعهِ فاذا هو لم يزل غائبًا. امَّا السُّعاة فلم يرجع منهم ولا واحد فحارت قواهُ واظلمت الدنيا في عينيهِ وهو يتعجَّب كيف تستطيع نفسهُ احتمال هذه الاحزان كلها. واخذ يفكِّر في ما يصنع لخلاص صموئيل. فعاد حلمهُ الى فكرهِ وعزم على ان يرمي بنفسهِ في وسط الملعب ويكشف صدرهُ امام الحضور ليروا جروحهُ في سبيل الوطن وينشدهم الآلهة بالَّا يسمحوا في موت شيخٍ مسكين ليس عليهِ حرج. فمن يعلم يا تُرى إن لم يحنّ لهُ قلب الشعب فيخلّص صموئيل بهذه الوسيلة

فقام للحال ورجع الى دارهِ ونزع عنهُ رداء العبيد وارتدى بزَّة الضبَّاط الرومانيين وجعل على صدرهِ اوسمتهُ التي اكتسبها في ساحة الحرب وامسك بيدهِ السهم الذهبي الذي أُعطي لهُ جائزةً عن فروسيَّتهِ في حرب الفرس وكان طيطس اضاف الى طرف هذا

السهم حليـةً من الحجارة الكريمة . ثم تقلّد سيفهُ وكتب بطاقةً ثانية ارسلها الى يهوديت وفيها الكلمتان السابق ذكرهما: « اليوم ان شاء السماء نظفر بالمرام »

ومع انّ ساعة الحفلة لم تأتِ بعد قدم راسيوس الى الملعب وفحصهُ فحصاً نعمًا ليرى كيف يمكنهُ ان يتمّم ما عوّل عليهِ . فوجد ساحة الملعب مفروشة بالرمل الناعم وقد حُفرت حولهُ جداول من الماء لتلطيف حرارة النهار . وكانت جُعلت بين دوائر المقاعد مجامر ليُلقى في نارها اللُبان والندّ فيتنسّم الشعب هذه الروائح العطرية بينما تُسَرُّ عيونهُ بمشاهد الملعب

ثم خرجَ راسيوس ليستعدّ لنزاعهِ الاخير ويروّح نفسهُ حتى اذا ازفت الساعة يبقى رابط الجأش حاضر الجنان . وكان يسمع الجمهور المتراكم في الساحة المجاورة يحيّي المصارعين القادمين الى ملعب بيروت ليسرّوا الاهلين بصراعهم وكان هؤلاء يتقدّمون ثناء وثلاث وروّوسهم مكلّلة بالورد منهم كهول ومنهم شبّان في مقتبل العمر وكلهم اعلاج ذوو بنيّة قوية يتدفق ماء الحياة على وجوههم . وكانت اجسامهم مدهونة بالزيت لتزيد حركاتهم مرونةً وخفّـة فيلمع جلدهم لصقالتهِ بالشمس . فكان الشعب يصفّق لهم استحساناً وهم سائرون ليضحّوا نفوسهم في سبيـل مسرّتهِ الوحشيّة فدخلوا الاسراب المعدّة لهم وأُقفلت عليهم الابواب وما كانوا ليخرجوا منها الّا محمولين على الاكتاف

ولمّا كان رأد الضحى نفر البوق العسكري فاجاب القوم لصوتهِ متهللين وتراكضوا الى مقاعد الملعب التي فُتحت ابوابها من عشرة جوانب . وكان الكل يتزاحمون ويركب بعضهم بعضاً ليسبقوا سواهم ويجلسوا في افضـل مكان . فهذا يصرخ وذاك يلكم ومنهم من يُداس بالارجل . ولم يهدأ هذا اللجب الّا بعد ساعةٍ لمّا قدم كبار العمال وشيوخ البلد والاعيان والبطارقة وكهنة الهياكل الكبرى يتقـدّمهم كاهن المشتري البعلبكيّ وكاهنة عشتروت وكلّهم بالبزّات الرسميّة التي تأخذ بالالباب وتفتن العيون . وكانت السيّدات تبرّجن بالحليّ والمصـاغات الثمينة فخرجن ليعرضنَ محاسنهنّ على الحضور . فجلس هؤلاء في صدر الملعب حيث أُعدّت لهم امكنة خاصّة على حسب مقامهم

وجلس راسيوس في موقع يمكّنهُ من البروز الى سـاحة الملعب قريباً من الدرج الذي يُشرف على مجال الالعاب . وكان ينظر حيناً بعد حين الى الكرسي المعدّ لطيطس لعلّهُ يراهُ فيقترب اليهِ او يرسل اليـهِ بطاقةً لكنّ مكانهُ المزيّن بالارجوان كان فارغاً

على جانبي كرسيّهِ حاكما المدينة ومدبّراها الاكبران. وحولهما جماهير مجمهرة تضج وتصيح ليُسرَع في افتتاح الالعاب

فحينئذٍ قام الحاكم الاوّل فرونتون نائب الامبراطور قسپسيان واشار برايةٍ في يده أن: « قد حانت الساعة ». فسكن اللجب وخمدت الحركات. فصار الحضور كأن على رؤوسهم الطير وعلم راسيوس ان الاجل دانٍ. لكنهُ تصلّب وعاين الموت دون خوفٍ كما اعتاد نزال العدوّ في الحرب وهو لم يعهد بقلبهِ وجأً با

ثم سُمعت بعد سكوت القوم ثلاث طرقات عظيمة تؤذن بافتتاح الالعاب. فظهر رجل وهو لابس بزّة إله الجحيم كارون واخذ يدعو اهل الصراع الى الموت فانفتح باب سرب المصارعين بصوت يرجف الابدان. فخرج للحال المصارعون اثنين اثنين وطافوا الملعب ماشين وعيونهم جامدة ورؤوسهم عالية حتى اذا بلغوا صدر الملعب بازاء كرسيّ طيطس الفارغ وقفوا ثمّ بسطوا ايديهم اليُمنى وصرخوا باصوات ثابتة: « تقبّل ايا قيصر سلام المائتين »

فعلت اصوات القوم طرباً صارخين: « زِهْ زِهْ. موتوا كرماء. »

فدقّ النفير ثانيةً وعاد القوم الى سكوتهم

فحينئذٍ قام كلّ مصارعٍ بازاء نظيرهِ وشخص اليهِ بالنظر كانهُ يتهدّدهُ. ثم سحبوا خناجرهم بيمناهم وفي شمالهم ترس من حديد. فاخذوا يتقارعون ويتضاربون كلّ رجل مع خصمهِ. فكنت ترى الحديد يلمع في الشمس تارةً يعلو فوق الرؤوس وتارةً يتّجه الى الصدور. وكانت حركاتهم في اوّل الامر هادئةً لطيفةً ثم لم يلبثوا أن اتّقد غضبهم فتعامل الواحد على الآخر بضربات هائلة. وكان الشعب في اثناء ذلك ينشّط هذا ويبعث همّة ذاك ويسخر من جبانة البعض ويصفّق استحساناً لغيرهم

على انّ الدماء ما عتّمت أن تسيل فعمل نظرها في المصارعين واضحوا كلّهم بعد مدّة قليلة اشبه بوحوش ضارية لا يلوون على شيء. فكنت تراهم يصدقون الحملة على مناظريهم فيطعنونهم طعنات متوالية ربّما كانت القاضية. فيسقط هذا على الحضيض وتُسمع لذاك حشرجة الموت. امّا الحضور فكانت هذه المناظر تزيدهم شراسةً لا يجدون في قلبهم اثراً لرحمةٍ على ميت بل كانوا يُغرون المصارعين ببعضهم ويزيدونهم هياجاً فيرتاحون لجراحهم ويُسرّون بموتهم

وكان الصرعى يسقطون فوق الصرعى امَّا الباقون فكانوا لا يزيدون الَّا توحُّشاً اللهمَّ الَّا بعض الشبان منهم ممَّن لم يحسنوا بعدُ فنون الصراع فانَّهم ارادوا الهرب من الموت وهمُّوا بالخروج الَّا انَّ الرجل الممثِّل للاله كارون جاء وردَّ الابواب في وجههم فجاءهم المصارعون الكهول وطعنوهم بمداهم والحقوهم بالموتى

فما مضت ساعة على هذا الصراع حتى ذهب ثلاثة ارباع المصارعين جرحى وقتلى. فاشار الحاكم والشعب بعدَهُ برفع الابهام انَّهم لا يريدون موت بقيَّة المصارعين فخرج هؤلاء تصحبهم ضجَّات القوم كانَّهم اتوا اعمالًا شريفة او ظفروا باعداء المملكة. امَّا الصَّرعى فانَّ طائفة من العبيد دخلوا الملعب وحملوهم ليُقبروا او يُلقوا في زاوية ريثما يبرأون من جراحهم او يموتون كالبهائم وجاء عبيد غيرهم ورشُّوا الرمل على ساحة الملعب لئلَّا يبقى فيها اثر للدماء

هكذا تمَّ الدور الاوَّل من تلك الرواية الفاجعة التي كان يستطيبها اهل ذاك العصر المدَّعي بالتمدُّن. وكان بقي دور آخر افجع وافظع منهُ ألا وهو موت اسرى اليهود. لكن بين هذين الفصلين اراد اصحاب الالعاب ان يطيِّبوا النفوس ويُنسوها حيناً تلك المناظر المؤثرة بتشخيص ملاعب هزليَّة لئلَّا تأخذهم الشفقة بعد ذلك على الاسرى اذا ما أُلقوا للسباع. فأُجريت هذه الالعاب المضحكة التي سُرَّ بها القوم غاية السرور وكانت في اثناء ذلك طائفة من العبيد يحملون اطباقاً عليها المشروبات المبرِّدة واصناف الحلويات والفواكه الطيِّبة يقدِّمونها لوجوه القوم ويفرِّقون ما بقي على الجمهور المتسارع الى لقطها وازدرادها

وكانت الشمس في خلال ذلك كادت تستوي في كبد السماء فاحبَّ الحضور أن ينتهي اصحاب الهزل من ألعابهم المضحكة لتُعرض امامهم الاسرى وتبرز الوحوش من مكامنها فاخذوا يصرخون: « الاسرى للسباع ! الاسرى للسباع »

وكان راسيوس مدَّة كل الألعاب السابقة غائصاً في بحر الافكار كانَّهُ لا يعي لما يجري حولهُ من الفظائع المخلَّة بشرف الانسانيَّة. فما سمع كلمة « السباع » حتى استيقظ من غفلتهِ وعرف ان الساعة ساعتهُ. فرمى بشملتهِ العسكريَّة ونفض ما اثارتهُ عليهِ المصارعة من الغبرة وهندس حالهُ واخذ أُهبتهُ لامرهِ

فلمَّا خمدت الاصوات خرج الاله كارون ثانيةً من عرينهِ ليدعو الموتى الى مملكتهِ

وكان راسيوس حينئـذٍ يفحص الدرجات التي بها ينزل الى الساحة لينجز قصدَهُ. وهو لكذلك اذ خرق رجلٌ صفوف الحضور وهو يطفر من دائرة الى دائرة حتى ادرك الضابط وسلَّمهُ لوحاً مطليًا بالشَّمع كان عليهِ بعض الفاظ وجيزة

واذا هو جواب طيطس الى صديقهِ راسيوس وفاديهِ من الموت. وكان هذا منطوقهُ :

« لا سبيل الى ردّ طلبك. فاني آسر أن يُسلَّم لك الذي تريد نجاتهُ »

قرأ راسيوس هذه الكلمات الوجيزة التي عملت فيهِ عمل هزَّةٍ من الكهرباء فكادت تُطير عقلهُ وتهدُّ حيلهُ ألّا انهُ فكَّر في الخطر القريب الذي يتهدَّد صموئيل فشدَّد عزيمتهُ وضبط جنانهُ ثمَّ نزل اسرع من طرفة العين الى ساحة الملعب وسار توًّا الى باب الحديد الذي منهُ كان يُنتظر خروج الاسرى فقدَّم لقائد المئة القائم على حراستهِ بطاقة القيصر. فلم يسعهُ ألّا الطاعة لاوامر سيّدهِ

فدخل راسيوس وما مضى بضع دقائق حتى ضمَّ بين ذراعيهِ الشيخ الاسير وقادهُ الى الباب الخارجي حيث كانت تنتظرهُ محفَّةٌ ارسلتهـا يهوديت لابيها واثقةً بقول راسيوس ان الخلاص قريب

لا نحاول وصف الفرح الذي احاق بالابنة والوالد لمَّا التقيا فانَّ الالسنة صمتت لتنطق العيون بعبراتهـا الجارية كواكف المُزن. وكان صموئيل لكثرة ما اصابهُ من الاوجاع قد استلقى على ديوان دارهِ لا يكاد يعي لنفسهِ. امّا يهوديت وراسيوس فكانا منطرحين عند اقدامهِ لا ينبسان ببنت شفة ألّا انَّ قلبيهمـا كانا طافحين من الفرح يرشفان معاً كاس الهناء بعد مكابدة علز الموت

وبينما كان اصحاب دار الورود يذوقون ملذّات الاجتماع بعد الفراق والاوجاع كان يُرى في ملعب بيروت منظر تتفتَّت له الاكبـاد فانَّ مئين من اسرى اليهود كانوا أُخرجوا من اسرابهم بلا ثياب ولا اسلحة ثمَّ فُتحت اقفاص الوحوش فخرجت هذه بزئير ارتجفت له الفرائص وتراكضت على اولئك المساكين المنكودي الحظّ. فاخذ هذا يحطّم بانيابهِ وذاك ينطح بقرونهِ وغيرهُ يمزّق ببراثنهِ فيُسمَعُ صوت العظام المتكسّرة مع ولولة المعذَّل بهم وصراخهم ممّا تنشقُّ لهُ الاكباد. وكان بين الاسرى قومٌ من النصارى لم يفرقهم الرومان لمّا فتحوا اورشليم لظنّهم انّهم من اليهود العُصاة فماتوا معهم وهم ازكياء. فابدوا في تلك الساعة شجاعةً قضى الحضور منها العجب. وكان يلوح على

وجوههم بازاء الموت سكينة وفرح كأنهم لا يرون في الموت سوى بابٍ لحياة الخلود ومجاز لافراح سرمديَّة

وهكذا تمَّت تلك الالعاب الشهيرة التي يعدّها المؤرخون من ابهج الاعياد التي اقامها الرومان مدَّة ملكهم . وكان ذلك في ١٧ من تشرين الثاني سنة ٧٠ للميلاد

(التتمَّة للعدد الاخير)

مطبوعات شرقية جديدة

A Text-book of North-Semitic Inscriptions.
by the Rev. G. A. Cooke, 8°, XVI - 407 pp. with XIV Plates.
Clarendon Press, Oxford. 1903.

الكتابات الساميَّة الشمالية

قد اصدرت هذا الكتاب النفيس مطبعة اوكسفرد الشهيرة المعروفة بكلارندون برس . ومداره على كتابات اللغات الساميَّة الشماليَّة اعني الموابيَّة والعبرانيَّة والفينيقيَّة والاراميَّة والنباطيَّة والتدمريَّة . وهو يختلف نوعاً عن تاليف المسيو ليدزبارسكي المعنون (Handbuch der nordsemitischen Epigraphik) بان يدوّن الكتابات الساميَّة ويزيد عليها بالانكليزيَّة ترجمتها وشرحها . اما المسيو ليدزبارسكي فانهُ اثبت النصوص وحدها واضاف اليها معجماً لجميع الكتابات الساميَّة الشماليَّة مع مقدّمة على الكتابات الساميَّة اجمالاً . فيكون لكل كتاب مزيَّة تتمّم فوائد الآخر وفي كتاب المسيو كوك اربعة عشر جدولاً للكتابات الساميَّة . وكنَّا نودّ لو اتّسع فيها الّا انَّ خوفهُ من زيادةٍ في ثمن الكتاب الذى يساوي ١٦ شلينًا منعهُ عن ذلك . وعلى كلّ حال نحضُّ كل من يُعنى بدراسة الخطوط الشرقيَّة لاسيَّما عارفي الانكليزيَّة منهم والذين يحضرون دروس مكتبنا الشرقي على ابتياع هذا السفر الجليل وإعمال النظر فيهِ س . رتژال

Istochniki dlya istorii Mohammeda
i literatura o nem, A. Krymskii *Moskva*, 1902

اصول السيرة النبويَّة لابن هشام

يعرف القرَّاء ان اقدم السير النبويَّة التي بلغتنا قد كتبها محمَّد بن هشام وذلك في القرن الثاني للهجرة . فاحبَّ المستشرق الفاضل اغاثنجلوس كريمسكي تزيل بيروت